

السيمائية بين العلم والنظرية والمنهج

أمير بسطامي*

صادق عسكري (الكاتب المسؤول)**

سيد رضا مير أحمدی***

الملخص

تُعَدُّ السيمائية من الحقول المعرفية الحيوية التي تهتم بدراسة العلامات والأنظمة الرمزية والإشارات الدالة في شتى مظاهر النشاط الإنساني. ورغم أهميتها المتزايدة، فإن موقعها في خارطة المعرفة ما يزال مثار جدل إستمولوجي واسع. يهدف هذا المقال إلى حسم مسألة تصنيف السيمائية وتحديد طبيعتها المعرفية، مجيباً عن إشكالية محورية: هل تُعدُّ السيمائية علماً مستقلاً، أم مجرد نظرية، أم منهجاً نقدياً؟ ولتحقيق هذا الهدف، اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي النقدي، مستنداً إلى معايير "فلسفة العلم" التي تُحدد ماهية العلوم وتميزها عن النظريات والمناهج، وذلك عبر تحليل المفاهيم الأساسية واستعراض آراء الخبراء. ومن أبرز النتائج التي توصل إليها المقال أن السيمائية تستوفي معايير "العلم" بشكل كامل، إذ تدرس موضوعاً محدداً (العلامات والدلالات) باستخدام قواعد ومبادئ دقيقة. وفي الوقت ذاته، أثبت البحث عدم وجود تعارض بين علمية السيمائية واستخدامها كـ "منهج" إجرائي لتحليل النصوص الأدبية والفنية وكشف مداليلها الخفية. كما خلصت الدراسة إلى أن النظرية - بطبيعتها المحدودة واحتياجها للإثبات - لا ترقى لمستوى شمولية العلم؛ وعليه، فإن إطلاق مصطلح "النظرية" على السيمائية بإطلاق يفقر إلى الدقة العلمية نظراً لتعدد الاتجاهات النظرية داخل هذا الحقل، ما لم تُقيد النظرية باسم صاحبها أو موضوعها المحدد.

الكلمات الدليلية: العلم، النظرية، المنهج، السيمائية.

*. طالب دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية، جامعة سمنان، سمنان، إيران

***. أستاذ مشارك، كلية الآداب الفارسية واللغات الأجنبية، جامعة سمنان، سمنان، إيران

S_askari@semnan.ac.ir

***. أستاذ مشارك، كلية الآداب الفارسية واللغات الأجنبية، جامعة سمنان، سمنان، إيران

تاريخ القبول: ١٤٤٧/٠٦/٢٩ ق

تاريخ الاستلام: ١٤٤٧/٠٢/٠٢ ق

المقدمة

تُعد السيميائية من الحقول المعرفية البارزة التي تُعنى بدراسة العلامات والدلالات وتحليل الأنظمة الرمزية التي تتخلل شتى مظاهر النشاط الإنساني. فهي تدرس العلامات بوصفها أدوات للتواصل، وتسعى إلى فهم العلاقات بين الدال والمدلول في سياقاتها المتنوعة. وتوظف السيميائية في تحليل النصوص الأدبية والفنية، وفي تفكيك الخطابات الإعلامية والسياسية، مما أكسبها حضوراً عابراً للتخصصات.

ثم تجدر الإشارة إلى أن موقع السيميائية في خارطة المعرفة ما يزال محلّ جدل؛ فهل هي علم مستقل يمتلك مقوماته ومنهجيته الخاصة؟ أم أنها مجرد أداة منهجية تُستخدم لتحليل المضامين في ميادين متعددة؟ وما حدود علاقتها بالنظرية؟

يسعى هذا المقال إلى الإجابة عن هذه التساؤلات، من خلال تحليل المعايير التي يعتبر بها مجال معرفي بصفة «العلم» وتوضيح علاقته بالنظرية والمنهج، وتحليل تعددية التوصيفات في السيميائية، كما يتجلى ذلك في نماذج من العناوين التالية:

«علم السيمياء في التراث العربي» (بلقاسم دفة)، الذي يعرض السيمياء كعلم له جذور تراثية مستقلة.

«علم الدلالة عند العرب» (عادل فاخوري)، الذي يسلط الضوء على التأسيس الدلالي في التراث العربي.

«علم الدلالة: أصوله وأبعاده» (دايه فايز)، الذي يبحث في الجذور والاتجاهات المعاصرة لهذا المجال.

«المنهج السيميائي في تحليل النص الأدبي» (ليلى شعبان)، الذي يبرز السيميائية كمنهج نقدي.

«الأصول اللسانية والشكلانية للنظرية السيميائية» (بن مالك رشيد)، الذي يقدم السيميائية كامتداد نظري للاتجاهات اللسانية.

«الأصول العلمية للنظرية السيميائية (مدخل نظري)» (قادة عقاق)، الذي يتناول السيميائية من زاوية مرجعياتها العلمية.

هذه التعددية في الرؤية والتوصيف تدفعنا إلى مراجعة المفاهيم وإعادة ضبط

المصطلحات، للوقوف بدقة على موقع السيمائية بين العلم، والمنهج، والنظرية. وأما الأهمية من البحث عن موقع السيمائية بين العلم والنظرية والمنهج، فيمكننا تلخيصه بأن هذا المقال يساعد في توضيح الجوانب المتعددة للسيمائية ويعيد النظر في تصنيفها بين كونها علماً أو نظرية أو مجرد منهج تحليلي فيساعد ذلك على تعزيز الفهم العلمى والمنهجى للسيمائية.

تعتمد المقالة منهجاً نقدياً يستفيد من الوصف والتحليل، مركّزاً على مراجع ومصادر تناولت موضوع السيمائية بدقة وعمق. يتم تحليل المفاهيم والمصطلحات المختلفة المرتبطة بالسيمائية، مع التركيز على الآراء الفلسفية والعلمية التى تدعم تصنيفها كعلم مستقل أو كمنهج. وانطلاقاً مما سبق، تتحدد إشكالية البحث فى محاولة الإجابة عن السؤال الرئيس: ما هو الموقع المعرفى للسيمائية فى ضوء معايير فلسفة العلم؟

أسئلة البحث

يتفرع عن الإشكالية الرئيسة الأسئلة التالية:

١. ما المعايير التى يصنّف بها حقل معرفى ما على أنه "علم"؟ وهل تنطبق هذه المعايير على السيمائية؟
٢. ما حدود العلاقة بين السيمائية والنظرية؟ وهل يصح اختزال السيمائية فى كونها مجرد نظرية؟
٣. هل يتعارض وصف السيمائية بـ "العلم" مع استخدامها كـ "منهج" لتحليل النصوص؟

فرضيات البحث

للإجابة عن الأسئلة المطروحة، ينطلق البحث من الفرضيات التالية:

١. تمتلك السيمائية مقومات "العلم" المستقل (من حيث الموضوع والغاية)، لأنها تدرس ظاهرة محددة (العلامات) وفق قواعد دقيقة، وليست مجرد انطباعات عشوائية.

٢. لا يمكن اختزال السيميائية في مفهوم "النظرية" فقط؛ لأن النظرية بطبيعتها محدودة وتحتاج إلى إثبات، بينما السيميائية حقل معرفي واسع يستوعب نظريات متعددة.
٣. لا يوجد تعارض بين علمية السيميائية ووظيفتها المنهجية؛ إذ يمكن للعلم أن ينتج أدوات إجرائية (مناهج) تُستخدم في تحليل النصوص وتفكيك الخطاب.

الدراسات السابقة

عند تتبع الأدبيات السيميائية، نجد أن المكتبة العربية تزخر بالكتب التي تناولت السيميائية تأسيساً وتأصيلاً، مثل كتابات عادل فاخوري (علم الدلالة عند العرب)، وفيصل الأحمر (معجم السيميائيات)، ورشيد بن مالك (قاموس مصطلحات التحليل السيميائي). وعلى الرغم من كثرة هذه المؤلفات، إلا أن الدراسات التي خُصصت حصراً لمناقشة الجدلية الاستمولوجية (العلم، النظرية، المنهج) في بحث مستقل تعد قليلة نسبياً. ومن أبرز الدراسات التي قاربت هذا الموضوع، مقالة بعنوان "السيميائية بين الرؤية والإجرائية" لمحمد أسامة عبد الحميد. ناقشت هذه الدراسة العلاقة بين السيميائية كمنهج تحليلي وبين رؤيتها النظرية، مبرزة تطور السيميائية من أداة نظرية إلى أداة إجرائية لتحليل الخطاب. وقد أشار الباحث فيها إلى إشكالية "تعدد المصطلحات" التي اتخذها بعضهم دليلاً لنفي علمية السيميائية. ونحن نرى في هذا الصدد أن المعيار الرئيس في علمية حقل ما لا يكمن في توحيد المصطلحات فحسب -إذ إن المصطلحات تستقر بعد نضج العلم- بل في وجود موضوع محدد وقضايا مترابطة.

كما لا يمكن إغفال الجدل التاريخي حول هذه المسألة في المدونة السيميائية الغربية، وتحديدًا عند رولان بارث. ففي أعماله المبكرة مثل "أسطوريات"، سعى بارث لتكريس السيميائية كعلم للأنساق الثقافية، لكنه شهد تحولاً في "لذة النص"، مما جعل البعض يرى في ذلك تراجعاً عن "الطموح العلمي" لصالح "الممارسة التأويلية".

وانطلاقاً من هذا التراث المعرفي، تأتي هذه الدراسة لتسد فجوة بحثية محددة؛ فهي لا تكتفى بعرض الآراء، بل تحتكم إلى معايير "فلسفة العلم" حصراً للفصل في هذه

الإشكالية، وتميز ما هو "علم" عما هو "منهج" أو "نظرية" بدقة منطقية، وهو ما يميزها عن الدراسات السابقة.

العلم والنظرية والمنهج

أول مسألة جديرة بالذكر هي تبيين المفردات المهمة في البحث وهي: العلم، والنظرية، والمنهج. «فأما العلم فهو يستعمل في المعنيين الرئيسيين؛ الأول، نفس المعرفة والإدراك والثاني، مجموع من مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة ويطلق حديثاً على العلوم الطبيعية التي تحتاج إلى تجربة ومشاهدة واختبار سواء أكانت أساسية كالكيمياء والطبيعية والفلك والرياضيات والنبات والحيوان والمجولوجيا أم تطبيقية كالطب والهندسة والزراعة والبيطرة وما إليها.» (إبراهيم مصطفى وآخرون، ١٩٨٥م، ٢: ٦٢٤) والمقصود من العلم في العنوان الأصلي هو المعنى الثاني لأننا نبحث عن المعيار في اعتبار مجموعة من القضايا بصفة العلم وهل يمكن تطبيق هذا المعيار على السيمائية أم لا؟ وأما النظرية فهو من (نَظَر) أصل صحيح أي: يرجع فروعه إلى معنى واحد وهو تأمل الشيء ومعاينته ثم يستعار ويتسع فيه والنَّظَرِيَّةُ: قضية تثبتُ ببرهان. (ابن فارس، ١٩٧٩م، ٥: ٤٤٤) ورأى أو اجتهد يدلُّ به أحد العلماء ويحاول إثباته بالبراهين. (مسعود، ١٩٩٢م، ١: ٨١٠) النظرية مجموعة منسجمة من الافتراضات، القابلة للتقصي فالافتراض والانسجام والتقصى مفاهيم أساسية تُحدّد بعد النظرية.

ثم ربّما تستعمل كلمة النظرية في الأدب العربي بمعنى دراسة لأصول الأدب وفنونه ومعاييره ومذاهبه عبر العصور والفضاءات. (علوش، ١٩٨٥م: ٢١٩) لكن هناك نقطة هامة تحتاج للتأمل والتدقيق وهي التركيز على كيفية النسبة بين العلم والنظرية وإيضاحها أنعهما مترادفان ومتساويان في المصاديق أم لا؟ إذا نلاحظ العلوم المختلفة فنشاهد أن بعضها في بدء ظهورها كانت مسألة واحدة حدثت لعالم فحاول أن يجيب عليها فبدأ بتحليلها والبحث عن جزئياتها ثم رتبها ووصل الى نتائج ثم بعد فترة ذلك العالم - أو عالم آخر - يراجع تلك التحليلات أو النتائج وينكشف له عدم صحتها فيقوم بالبراهين الحديثة على بطلانها ويبدو رأيه ويعلله ويثبتها فنشاهد اتساع المسائل

شيئا فشيئا فتؤدى هذه الابحاث والمناقشات والآراء الحديثة فى مسألة واحدة إلى ظهور علم حديث لكنّها لاتثبت الترادف بين العلم والنظرية بل العلم أشمل وأعم من النظرية وإن كانت النظرية الواحدة مبدء ظهور العلم لأن العلم ساحة تضارب الآراء والنظريات وربّ مسألة واحدة تجاب بالأشكال المختلفة حتى المتضادة وكل إجابة له قائل به فالنظريات المختلفة تطرح فى المسألة الواحدة وكلها تندرج تحت مسائل العلم ولانقدر أن نحصر علما فى نظرية واحدة ومضافا على هذا رب مسألة لاتتسع الدراسات المرتبطة بها إلى حد أن نعتبره بصفة علم حديث.

وأما المنهج فى اللغة فجاء فى مقاييس اللغة «هو من نَهَجَ وله أصلان متباينان _ أى يشق منه كلمات لاترد إلى معنى واحد _ الأول النَّهْجُ والطَّرِيقُ، ونَهَجَ لى الأمر: أَوْضَحَهُ. والمُنْهَجُ: الطَّرِيقُ أيضا والجمع المناهج والآخِرُ الانقطاع مثل قوله: ضربت فلانا حتى أَنْهَجَ أى سقط..» (ابن فارس، ١٩٧٩م، ٥: ٣٦١) المقصود من المنهج هنا هو المعنى الأول والمنهج فى العلوم بمعنى الطريق الذى يتعامل الباحث مع المسائل الحديثة فى العلم لكى يجيب عليها بشكل علمى والمنهج العلمى له تعريف وقواعد وإطار محددة وجاء فى معجم المصطلحات الأدبية فى اللغة والأدب: «الْمَنْهَجُ (method) بِوَجْهِ عام، وسيلة مُعَدَّة تُوصِل إلى غايةٍ مُعَيَّنة. والمنهج العلمى، خُطَّةٌ مُنظَّمة لعددٍ من عمليات ذهنية أو حِسِّية، بُغْيَةُ الوصول إلى كشفِ حقيقةٍ أو البرهنةِ عليها.» (وهبه والمهندس، ١٩٨٤م: ٣٩٣)

ويقول الدكتور صلاح قنصوه «يتميز العلم بمنهجه عن سائر صور الفاعلية الإنسانية، فهو يختص بمبادئ، ومسلمات، وبعالج الوقائع، وقيم الفروض التى تربط بين الوقائع بواسطة مفهومات خاصة، لينتهى من ذلك، إذا ما تحققت الفروض، إلى صوغ القوانين والنظريات. وهو فى كل ذلك يصطنع الملاحظة والتجربة أداة له، متخذاً من الرياضيات لغة لنتائجه، كلما كان تكميم ظواهره المدروسة ممكناً ... وظيفة المنهج هى الوصف والتفسير والتنبؤ والتحكم.» (قنصوه، ١٩٨١م: ١١) سيأتى التفصيل فى بابه.

ظهرت في فلسفة أوروبا فكرة فلسفية حديثة نتيجة عن الدراسات العلمية التي كان يتناولها العالمان الشهيران، دى سوسير العالم اللغوى وبيرس الفيلسوف في القرن التاسع عشر ميلاديا انبنى من تلك النتائج العلم الحديث، المعروف في عصرنا بالسيمائية أو السيميولوجيا، والذي أفاد العلماء في تحليلاتهم ودراساتهم العلمية في المجالات العلمية المختصة بهم من الفن والأدب والسياسية وغيرها. هذا المقال يركز على معالجة مسألة تعرضت السيمائية لها في مجال النقد الأدبي وهي إنكار اعتبارها بصفة علم بل اعتبارها من المناهج لا العلوم.

للإجابة عن هذه الإشكالية، يتطلب الأمر التدقيق في المعيار الذي بموجبه تُعتبر مجموعة من المفاهيم المرتبطة بعضها ببعض علماً. ما هو المعيار والأساس الذي يتيح لنا إدراجها ضمن قائمة العلوم؟ عندما يصل النقاش إلى البحث عن معيار العلم، لا مفر من الرجوع إلى فلسفة العلم العلماء على المبادئ التي ثبتت صحتها بالأدلة والبراهين قبل الخوض في مسأله وقضاياها. وليست المبادئ من جنس القضايا، بل تستند صحة الاستدلالات وثبوت القضايا إلى ارتكازها على تلك المبادئ. كما تتمحور قضايا العلم حول موضوع واحد، وتكشف عن جانب محدد من هذا الموضوع، موضحة حُكمًا معينًا يتعلق به، كما أوضح ذلك ابن سينا: «إن لكل واحد من الصناعات وخصوصا النظرية مبادئ وموضوعات ومسائل والمبادئ هي المقدمات التي منها تبرهن تلك الصناعة ولا تبرهن هي في تلك الصناعة... والموضوعات هي الأشياء التي إنما تبحث الصناعة عن الأحوال المنسوبة إليها، والعوارض الذاتية لها. والمسائل هي القضايا التي محمولاتها عوارض ذاتية لهذا الموضوع أو لأنواعه أو عوارضه، وهي مشكوك فيها فيستبرأ حالها في ذلك العلم.» (ابن سينا، ١٣٧٣ش، ١: ١٩٤)

فإذن المعيار في العلم هو أن تجمع مجموعة من الاحكام والمحمولات التي هي عوارض ذاتية للموضوع الواحد أو لأنواع الموضوع أو عوارضه فنشاهد أن هذا المناط يصدق تطبيقه على السيمائية لأنها تبحث في العلامات والدلائل، وأحوال الدلالة وكيفياتها وأنواعها، فإن هذا كافٍ لنعتبرها علماً ونُدرجها ضمن قائمة العلوم. «السيمائية هي العلم الذي يدرس العلامات والأنظمة الرمزية في كل الإشارات

الدالة وكيفية هذه الدلالة ... فالموضوع الأساسى تدور حوله السيميائيات هو العلامة ولاشئ سواها.» (الأحمر، ٢٠١٠م: ١٨)

مضافاً إلى ذلك، هناك شواهد عديدة حتى من المتقدمين فى مجال السيميائية تؤكد أنهم كانوا يعتبرونها علماً. ومن بين هذه الشواهد ما قاله دى سوسير: «يمكننا إذن أن نتصور علماً يدرس حياة العلامات فى كنف الحياة الاجتماعية.» (توسان، ١٩٩٤م: ٩) إذن، عندما انطبق معيار العلم على السيميائية، ثبت بشكل قاطع أنه لا شك فى جواز إدراجها ضمن قائمة العلوم. ولكن تبقى مسألتان هامتان تستدعيان النقاش. أولاًهما: هل يمكن، بعد إثبات تحقق معايير العلمية فيها، تصنيف السيميائية على أنها نظرية بدلاً من علم؟ أم أن الأفضل تصنيفها كعلم مستقل نظراً لكونها تضم مجموعة من النظريات المختلفة والمتضادة التى يتناولها السيميائيون بالدراسة والتحليل؟ سنسعى فى العنوان التالى للإجابة على هذا التساؤل. وأما المسألة الثانية، فهى مكانة السيميائية فيما يتعلق بالمنهجية؛ أى، هل يمكننا، بعد إثبات كونها علماً، أن نحكم بمنهجيتها فى الوقت ذاته؟ وهل هناك أى تعارض بين العلمية والمنهجية؟ سنناقش هذه الإشكالية لاحقاً، محاولين تقديم إجابة شافية عنها.

السيميائية بين العلم والنظرية

النظرية مشتقة من "نظر"، التى تحمل معنى تأمل الشئ ومعاينته. يتسع هذا الأصل ليشمل استخدامات مختلفة، حيث تشير النظرية فى الاصطلاح إلى: قضية تُثبت ببرهان. (ابن فارس، ١٩٧٩م، ٥: ٤٤٤) أو رأى أو اجتهاد يطرحه أحد العلماء، ويعمل على إثباته بالبراهين. (مسعود، ١٩٩٢م، ١: ١٨٠) النظرية ليست مجرد فكرة عابرة؛ بل هى منظومة فكرية تعتمد على التحليل والتبرير المنطقى لإثبات حقيقتها أو نفيها ولا يخفى أن المقصود من النظرية ما يقصده العلماء والخبراء لأنه كثيراً ما يساء فهم مصطلح "نظرية" فى الاستخدام العام، حيث تُختزل إلى مجرد تخمين أو فرضية غير مثبتة، ما يجعلها عرضة للشك والارتياب. فى المقابل، يستخدم العلماء هذا المصطلح للدلالة على منظومة معرفية متكاملة تقوم على قوانين مبرهنة والتفسير المنهجى للظواهر، وتُبنى

على أسس علمية أو تجريبية وتستخدم فى التنبؤ والتطبيق. على سبيل المثال، يتحدث الاقتصاديون عن "نظرية البطالة"، والفيزيائيون عن "نظرية الكم"، وعلماء الأحياء عن "نظرية التطور"، وكلها نظريات تقوم على أسس علمية متينة وتفسيرات منهجية للواقع، لا على افتراضات عشوائية أو غير مدعومة. (روزنبرج، ٢٠١١م: ١٣٥) إلا أن هناك سؤالاً يطرح نفسها، وهو: ما هى العلاقة بين النظرية والعلم؟ وهل يمكن اعتبارهما مترادفين أو متساويين فى المصاديق؟ وهل يمكن لنا أن نسمى السيمائية بالنظرية؟

تظهر قيمة النظريات العلمية لا بوصفها انعكاساً مباشراً للواقع، بل كأطر عقلية تُبنى منطقياً للإجابة عن أسئلة مفتوحة، وهو ما يمنحها مكانة معتبرة داخل نسيج المعرفة العلمية ويعد من أبرز دلائل نضجها وكما أشار إليه الدكتور صلاح قنصوه فى كلامه «النظرية بحكم اشتقاقها من اليونانية تعنى التأمل (theoria) فليست إذن نتيجة مباشرة من معطيات الواقع. وهى لا تنبثق من خلاء ذاتها من البحث التجريبي، بل بوصفها حلولاً عقلية لمشكلات مثارة. كما أنها تقدم، من قبل ذلك، الأساس الذى ينبغى أن تحدد بمقتضاه الأسئلة التى يجب عنها. وتقتصر حلولاً نظرية متفتحة نسقاً منتظماً من الوجهة المنطقية للمشكلات المطروحة من شأنه أن يجعل الوقائع العلمية وسائر العناصر والخطوات جزءاً من المعرفة العلمية المقبولة.» (قنصوه، ١٩٨١م: ٢٠١)

عند تتبع نشأة العلوم وتطورها، نلاحظ أن كثيراً منها بدأ بمحاولة الإجابة عن مسألة محورية تشغل أذهان العلماء، فيلجؤون إلى التحليل والتفكيك والتأمل فى جزئيات المشكلة للوصول إلى نتيجة محددة. غير أن هذه النتائج لا تكون دائماً نهائية؛ إذ قد يعيد العلماء النظر فيها لاحقاً، فيكتشفون إشكالات أو قصوراً فى البنية المنطقية التى بُنيت عليها، مما يدفعهم إلى إبطال النظريات السابقة وتقديم بدائل مدعومة ببراهين جديدة. من هذا المسار، تتراكم النتائج تدريجياً، وتتوسع القضايا التى تتناول تلك المسألة. وفى مرحلة معينة، تتحول هذه الجهود والمناقشات إلى فرع علمى جديد، وقد عبّر ألكس روزنبرج عن هذا التوجه الفكرى فى فلسفة العلم بقوله: «ومن الطبيعى أن يثير المفهوم البدهى للنظريات، وجهة نظر حول التقدم فى العلم على أنه تطوير نظريات جديدة تتناول النظريات القديمة على أنها حالات خاصة، أو تقريبات أولية، تقوم

النظريات الاحداث بتصحيحها وتفسيرها. وهذا المفهوم المتعلق برد النظريات الأضيق إلى النظريات الأوسع أو الأكثر أساسية، عن طريق الاستنباط، تزودنا بتطبيق جذاب للمنهج البدهى فى تفسير طبيعة التقدم العلمى.» (روزنبرج، ٢٠١١م: ١٣٧)

رغم الارتباط الوثيق بين النظرية والعلم، إلا أن اعتبارهما مصطلحين مترادفين يعدّ خطأ شائعاً. يشير الدكتور صلاح قنصوه إلى التمييز الدقيق بين مكانة النظرية فى مقابل العلم والمنهج، موضحاً أن النظرية ليست مجرد امتداد للمنهج ولا تجسيداً مباشراً للعلم، بل هى تنويع لمسارهما ومحصلة نهائية لخطوات المنهج العلمى فيقول: «تعد النظريات العلمية التنويع النهائى للمنهج العلمى، وحصاد خطواته الأخيرة. فكل ما يهدف إليه المنهج العلمى نجده دوماً فى النظرية العلمية، فهى التى تحشد الوقائع والمفاهيم والفرض والقوانين فى سياق منظم واحد. بل إن وجودها متضمن بصورة أو بأخرى فى كل منها، وبها يقدر دور كل من الوقائع والمفاهيم والفرض والقوانين فى تحقيق غايات المنهج العلمى، كما أن الحكم على كفاءة المنهج إنما هو حكم على كفاءة الطريقة التى أسلمت إلى النظرية. غير أن للنظرية مكانتها الخاصة من العلم ومنهجه، ففى الإطار الفكرى الصريح الذى يربط بين الوقائع والمفاهيم والفرض والقوانين، ولا يمحّص به إلا بعد تحقيقه بالشواهد التجريبية، ولكنها تظل فرضاً مبدئياً إذا لم يتبع لها هذا التحقق.» (قنصوه، ١٩٨١م: ٢٠٠)

الفرق الأساسى يكمن فى شمولية العلم بالنسبة إلى النظرية هو أن العلم أوسع نطاقاً من النظرية، إذ يشمل مجموعة من الآراء والنظريات المختلفة، حتى المتضادة منها، بينما تبقى النظرية مجرد جزء من العلم وليست مكافئة له. فقد تكون النظرية نقطة انطلاق لعلم جديد، لكنها لا تكتسب استقلالية كاملة دائماً، إذ تظل بعض النظريات محدودة وغير قادرة على التطور لتصبح علماً قائماً بذاته. على العكس، يتطور العلم من خلال تضارب النظريات وتفاعلها، حيث قد تُطرح إجابات متعددة لمسألة واحدة، حتى وإن كانت متناقضة، مما يساهم فى تطوره واستمراره. وهذا التعدد لا يعنى أن النظريات السابقة لا قيمة لها، بل يشير إلى أنها تمثل خطوات متتالية فى سبيل الكشف عما يقرب من الواقع بدرجة أكبر. ويقدم الدكتور صلاح قنصوه تمثيلاً بليغاً لهذا التعدد فى

النظريات، فيقول: «فليس هناك نظرية واحدة بعينها قد فصل فيها بصدد ظاهرة بعينها، بل تتعدد النظريات، وتتقدم بخطى متتابعة نحو أكثر التقريبات انطباقاً على الواقع. وصياغة نظرية جديدة لا يشبه في نظر أنشتين، هدم كوخ حقير بناء ناطحة سحاب بدلاً منه بل هي أقرب شبهاً بحال رجل يتسلق جبلاً ويتسع مدى بصره، ويرى آفاقاً جديدة. كلما زاد ارتفاعه، فحينئذ يبصر مسالك جديدة، تصل بين البقاع المنتشرة في سفح الجبل مما كان يعتذر عليه رؤيتها، لو لم يبرح هذا السفح.» (قنصوه، ١٩٨١م: ٢٠٤) يرى الدكتور صلاح قنصوه أن طرح النظريات الجديدة لا يعنى إلغاء النظريات السابقة، بل يمثل تطوراً في الرؤية وفهماً أعمق للمسألة. فالنظرية الجديدة تُثير جوانب كانت خفية من قبل، تماماً كما أن الصعود إلى قمة الجبل يكشف آفاقاً ومسالك لم تكن مرئية من السفح. بهذا المعنى، تتكامل النظريات وتتعاقب لا تهدم الماضي، بل لتوسيع الإدراك وتقديم تفسير أقرب إلى الواقع.

فيظهر أن النظرية والعلم وإن يكونان مفهومين مترابطين، لكنهما غير مترادفين. فالنظرية تمثل نقطة البداية أو أساساً لفهم مسألة معينة، بينما العلم هو الإطار الأوسع الذى يضم النظريات، ويعمل على تطويرها وتنقيحها. ومن هذا المنطلق، يجب أن نميز بين النظرية كاجتهاد فردى، والعلم كمنظومة معرفية متكاملة تتشكل من تفاعل هذه الاجتهادات.

فإذن السيمائية، التى برزت من أبحاث دى سوسير حول اللغة والعلامات اللفظية، تقدم نموذجاً لهذا التحول. لأنها مع مرور الزمن تراكمت النظريات والآراء حولها حتى أصبحت علماً مستقلاً يضم مجموعة من النظريات المختلفة، بل المتضادة أحياناً. لذلك، من الأفضل اعتبار السيمائية علماً لا مجرد نظرية. وفضلاً عن ذلك نرى أن معيار العلمية وفقاً لما ذكره ابن سينا وبعض العلماء فى فلسفة العلم، صادق على السيمائية فإنها تفى بمعايير العلم، إذ: لها موضوع محدد (العلامات والدلالة) وتتناول مسائل مترابطة ومتركمة تحتوى على منهجيات وأدوات للتحليل والاستنباط. لذلك، يجوز أن نسميها "علم السيمياء والدلالة"، لأنها لا تقتصر على نظرية واحدة، بل تشمل مجموعة غنية من النظريات التى تخضع للنقاش والتحليل المستمر مثل نظرية النظم فى

اللغة عند دى سوسير، التى تؤكد على العلاقة بين الدال والمدلول ضمن نسق لغوى منتظم. ونظريات بيرس التى تقدم رؤية أوسع من خلال تصنيفه للعلامات إلى رمزية وأيقونية ومؤشورية، بما يعكس تنوع آليات التمثيل. ومنها نظريات موريس الذى قسّم أبعاد الدلالة إلى نحوى ودلالى وبراجماتى (التداولى)، موضحاً كيف تتفاعل العلامات فى السياقات المختلفة. ومن ثم، فإن السيميائية لا تقوم على نظرية واحدة بعينها، بل تتأسس على تعدد نظرى يثرى أدواتها التحليلية ويمنحها مرونة فى مقارنة الظواهر الدلالية، الأمر الذى ينعنا أن نحسبها أو نسميها نظرية، بل يقتضى اعتبارها علماً مستقلاً يتضمن فى داخله العديد من النظريات المتنوعة والمتكاملة.

فالتنتيجة، أنه لا يجوز أن نطلق على السيميائية مصطلح "نظرية" بشكل مطلق، لأن ذلك يخلّ بالدقة العلمية ويغفل تعدد الأطر والمقاربات التى يتضمنها هذا الحقل المعرفى. فالسيميائية ليست نظرية واحدة، بل علم مستقل يضم فى داخله طيفاً واسعاً من النظريات المتباينة. ومن ثم، فإن استخدام تعبير "نظرية السيميائية" دون تقييد يعد استخداماً غير دقيق. والأفضل أن نربط كل نظرية باسم صاحبها وموضوعها، فنقول مثلاً: "نظرية السيميائية عند بيرس فى أنواع العلامة"، أو "نظرية دى سوسير فى النظم اللغوى". بهذا التحديد نضمن الدقة ونراعى التعدد الذى يميز هذا العلم. وللدلالة على هذا الخلل فى التسمية، يمكن أن نستعرض مثالين من عناوين بعض الأبحاث التى تُظهر هذا الإشكال بوضوح: «الأصول اللسانية والشكلانية للنظرية السيميائية» و«الأصول العلمية للنظرية السيميائية (مدخل نظرى)»

العنوان فى مقال «الأصول اللسانية والشكلانية للنظرية السيميائية» (بن مالك رشيد) يوحى بأن السيميائية تقوم على نظرية واحدة لها أصول لسانية وشكلانية محددة، فى حين أن السيميائية تشمل نظريات متعددة تختلف بحسب روادها، كدى سوسير، وبيرس، وموريس. لذا، لكان من الأدق إعادة صياغة العنوان على نحو: «الأصول اللسانية والشكلانية لبعض الاتجاهات النظرية فى السيميائية» أو تحديد مرجع النظرية على سبيل المثال: «الأصول اللسانية والشكلانية فى نظرية دى سوسير».

وكذلك عنوان «الأصول العلمية للنظرية السيميائية (مدخل نظرى)» (قادة عقاق)

يكرّر الإشكال نفسه، إذ يفترض وجود "نظرية سيمائية" موحدة لها أصول علمية ثابتة، وهو ما يتعارض مع ما استقر عليه البحث العلمى فى تصنيف السيمائية كعلم تركيبى يحتوى على رؤى ونظريات متعدّدة. ومن الأفضل أن يصاغ العنوان بدقة أكثر، مثل: «الأسس المعرفية للتوجهات السيمائية المعاصرة».

بناءً على ما سبق، يتبين أن كلا العنوانين يحتاج إلى مراجعة علمية تأخذ فى الاعتبار التعدد النظرى فى السيمائية، وتتحاشى التعميم الذى قد يضلّل القارئ حول طبيعة هذا الحقل المعرفى المركب.

السيمائية منهج

المسألة التى قمنا بصدد تبينها هنا تتعلق بإيضاح معيار المنهجية وبحث إمكانية تطبيقه على السيمائية. ومع ذلك، قبل الإجابة على هذه المسألة، سنقدم بعض النظريات المتعلقة بالعلم والمنهج وارتباطهما معاً، حيث يرى البعض أن العلم فى بعض الآراء يكاد يكون مرادفاً للمنهج، كما أشار الدكتور صلاح اليه بقوله «يختلف الباحثون فيما يفرق العلم عن غيره فهو عند البعض مجموعة منظّمة من المعارف تدور حول موضوعات بعينها بينما هو عند البعض منهج وأسلوب لا يختلف اصطناعه فى مجال دون آخر. لذلك يتحدد أو يعرف العلم عند الفريق الاول بمادة البحث، على حين يتحدد لدى الفريق الآخر بمنهج البحث.» (قنصوه، ١٩٨١م: ٤٤)

ويرى الدكتور صلاح قنصوه يرى أن تعريف العلم استناداً فقط إلى مادة البحث لا يعد تعريفاً كاملاً لاستغنائه عن المعامل والمختبرات كأنّه يعتقد أن العلم لا يحصل عند البشر إلا فى المختبرات، وأن الاختبار والتجربة شرط لازم للحصول على أى علم وينتفى حصوله بدونها. وهذا ادعاء لا يمكن لنا أن نقبله؛ لأن العلم لا ينحصر فى العلوم التجريبية، بل هناك علوم أدبية وتاريخية وشبههما لا تنحصر قضاياها فى العمليات الإجرائية فى المختبرات. فضلاً عن هذا، يجب أن يتميز مجال التعريف عن مجال الفائدة والاستخدام؛ فالتعريف يوصّف لنا ماهية الشيء وبه نعرف واصفاته ونميزه عن غيره، فتوصيف الماهية يتحقق من خلال التعريف بالمادة. أما تعريف العلم بمنهج البحث

فيتصل بالغرض أو الفائدة، وهي مرتبة تأتي لاحقاً لمرتبة معرفة نفس الشيء لأن فهم منهج البحث يعتمد أساساً على إدراك البحث ذاته أولاً. وإذن يظهر أن كلامه التالي قد لا يخلو من الاعتراضات «لو عدنا العلم نسيجاً من المعرفة فحسب، فإن عالمنا لا بد أن يحتفظ بكل فوائد والثمار العقلية والعملية للعلم الحديث حتى لو أغلقت المعامل والمختبرات أبوابها من الغد. إلا أن هذا النسيج أو الشبكة المتسعة من المعلومات ليسا كاملين بالطبع، ولكنه بالنسبة للمولعين بدلالة العلم من حيث هو شروح قد بلغ الغاية من الرضا والنجاح ولكن إلى متى يظل الأمر كذلك، فهذا هو السؤال.» (قنصوه، ١٩٨١م: ٤٥)

سبق أن لكل علم مبادئ، وموضوع، ومسائل، وكان من منهج العلماء قبل الشروع في دراسة أى علم البحث عن الرؤوس الثمانية، لتكون دليلاً يمكن الباحث من السير في العلم ببصيرة ومعرفة تشجعه على إتمامه ومنها سمة العلم، أى بيان سبب تسميته باسم ما، حيث تتضمن إشارة إجمالية إلى ما يقوم العلم بتفصيله وبيانه وقد يعبر عن السمة بعنوان العلم بحيث تقدم للناظر صورة إجمالية عما يفصله ذلك العلم ويبينه. والثانية منها: القسمة والتبويب والثالثة: الغرض أى العلة الغائية القهرية التى لإجلها دَوّن العلم والرابعة: المنفعة التى يكتسبها طالب العلم من الاشتغال بهذا العلم، وهى ما يتشوق إليه الإنسان بطبيعته، مما يدفعه إلى النشاط فى تحصيل العلم وتحمل مشقته الخامسة: بيان انتماء العلم إلى أى فرع من فروع العلوم، كأن يكون من العلوم التجريبية أو النظرية، ليتمكن الطالب من طلب ما يناسبه ويليق به. السادسة: تحديد مرتبته بين العلوم، بحيث يقدم على ما يجب تقديمه ويؤخر عما يجب تأخيرها. أى، هل يستلزم تحصيل هذا العلم مقدمات ضرورية خاصة قبل الخوض فيه؟ فإن كان كذلك، وجب تقديم تلك المقدمات قبل الشروع فى دراسة العلم ذاته. السابعة: معرفة واضع العلم، لتطمئن نفس المتعلم ويستقر قلبه تجاه مصدره ومصداقيته. الثامنة: الأنحاء التعليمية، أى الطرق والأساليب التى ذُكرت فى التعليم، لتوجيه المتعلم نحو أفضل السبل لفهم العلم واستيعابه، وهى التقسيم والتحليل والتحديد والبرهان. (التراقى، ١٩٨٥م، ١: ٢٩٥)

يبدو أن من عرّف العلم بالمنهج قد خلط بين الجهات الثمانية التى تبين للطالب

سمة العلم، مساره فى تحصيله، وكيفية التعامل معه فى التحليل والاستنباط. فقد يبدأ العلم من نظرية أو موضوع جزئى، ثم تتراكم المحمولات والأحكام المرتبطة بالموضوع أو بتفاصيله، إلى أن تصل الدراسات والنتائج إلى مستوى يعلن عن ظهور فرع علمى جديد. مثال ذلك ما حدث مع فرديناند دى سوسير، الذى بدأ بحثه حول اللغة والعلامات اللفظية، ثم وجد أن النتائج التى توصل إليها تشير إلى ولادة علم جديد. وعندما يكتسب العلم صفة الاستقلالية، وعند ترسخ مبانيه ومسائله، يصبح مؤهلاً لأن يعتمد كمنهج فى الدراسات المتنوعة. وقد أقر الدكتور صلاح قنصوه بهذا الأمر فى حديثه: «يتفق الباحثون جميعاً على أن العلم بحث نظرى، بمعنى أنه جهد مبذول للمعرفة والفهم الذى يحيط بظواهر الطبيعة... ولكن الخلاف لا يبرز إلا عند من لا يقنعون به كذلك بل يمدون مجاله إلى تطبيقات نتائج بحثه النظرى على كافة ميادين الحياة.... لا بد لنا أن نفرق بين العلم كنشاط نوعى يقوم به نفر من العلماء وبين تطبيقاته.» (قنصوه، ١٩٨١م: ٣٨)

المنهج بشكل عام هو الطريق والوسيلة التى يتدرج بها للوصول إلى هدف معين ويتضمن مبادئ ومسلمات ويعالج الوقائع والمنهج هى المنظومة المرتبة التى يمكن عن طريق استخدام أدوات الوصول إلى نتائج منطقية، وهو يوصف الظواهر ويفسر الارتباط بينها وبين علل وجودها ويشرح لنا لماذا حدثت الظاهرة وما هى علتها؟ وكذلك عن طريقه يستطيع الباحث أن يخبر عن وقوع ما يمكن أن يحدث فى المستقبل ويخمنه ويقدر أن يقوم الأشياء ويحكم فيها فأما المنهج الأدبى خاصة فوظيفته معالجة القضايا الأدبية والنظر فى مظاهر الإبداع الأدبى بأشكاله وتحليله. (فضل، ٢٠٠٢م: ١١) وتبين جماليات النص الأدبى وتبين كيفية دلالة الالفاظ على المعانى الأدبى وإيضاح المعانى الخفية وراء النص بشكل علمى بالبراهين المقبولة عند الخبراء فى المناهج الأدبية، فالمحور الرئيسى فى المنهج هو دوره الآلية لمعالجة الظاهرة الأدبية، نحن نشاهد أن الغاية من تعلم السيمائية هى تحليل الاعمال الادبى لمعرفة مداخل فهذا الاعتبار يمكن أن نعتبرها منهجاً ذات أسس وقواعد معينة يمكن الباحث من خلالها الوصول إلى الجماليات اللفظية والخفيات المعنوية وكشف الغموض عنها بشكل معلى منطقى

عرفى مقبول عند المحققين، فلذا نرى أن بعض الاساتذة حين يريد أن يعلموا السيميائية إلى الطلاب يعبرون عنها بالمنهج السيميائي وإن يكن المقام هو مقام التعليم وو البحث النظرى. فنشاهد تعبيرات الدكتور صلاح فضل حين يريد أن يوضح للقراء السيميائية يقول: «يعد المنهج السيميولوجى من مناهج ما بعد النبوية.» (فضل، ٢٠٠٢م: ١٢١)

فى الواقع من يعتقد أن السيميائية منهج وليس علما هو مازال ينظر من الناحية العملية بهذا العلم كانه يقول فى نفسه نحن نتعلم السيميائية لكى نطبق قواعده على الاعمال الادبية لكشف المداليل والمعانى الخفية عبر تحليل العلامات ودواليل معرفة عميقة صحيحة مستدلة لكنه غفل عن الناحية النظرية والعلمية التى هنالك تثبت القواعد المأخوذة المسلمة فى مقام التطبيق والتطبيق القواعد السيميائية على النصوص يتوقف على معرفتها وإثباتها فى علم السيميائية فلذا لامنافاة بين علميتها ومنهجيتها لأن الجهة فيهما مختلفة فالسيميائية علم من جهة صدق معيار العلمية عليها وكذلك منهج من جهة آليتها. و إليك تفصيل ماذكر من عدم تنافٍ بين المنهجية والعلمية فى السيميائية لأن الجهة فيهما تختلفان بل تتفاعل كل منهما فى إطار مكمل للأخرى، لأن العلمية كأساس معرفى فالسيميائية تُعد علماً لأنها تستوفى معايير العلم، مثل وجود موضوع محدد (العلامات والدلالات)، وقضايا تدور حول هذا الموضوع، إضافة إلى قواعد ومبادئ مُثبتة بالبراهين. من جهة أخرى المنهجية تكون كأداة تطبيقية فالسيميائية تُعتبر منهجاً لأنها توفر آليات وأدوات تحليلية لفهم النصوص الأدبية والفنية. هذه الأدوات تعتمد على أسس علمية لتبيين الدلالات واستكشاف العلاقات الرمزية والمعانى الخفية، مما يجعلها منهجاً عملياً قابلاً للتطبيق على نطاق واسع.

العلمية تتعلق بطبيعة السيميائية كإطار نظرى يستند إلى قواعد معرفية واضحة، بينما المنهجية تتعلق بقدرتها على التطبيق العملى لتحليل الظواهر النصية والدلالية. اختلاف الجهتين يعنى أنهما لا تتعارضان بل تتكاملان. التطبيق يعتمد على الاصول العلمية والمنهجية لا تنفصل عن العلمية، بل تعتمد عليها لضمان صحة ودقة التحليلات هذا التفاعل يتيح لها الجمع بين الإطار النظرى والتطبيق العملى دون أى تناقض.

و من المدهش أن هذا النقاش كان مطروحا قبل قرون فى مجال العلوم المنهجية، التى

تمتلك إطاراً علمياً متكاملًا، مع إمكانية توظيفها في خدمة علوم أخرى وقد وردت هذه الإشكالية ذاتها في تعريف علم المنطق قبل قرون، حيث دار الجدل حول ما إذا كان المنطق علمًا أم مجرد أداة تحليلية للعلوم الأخرى.

يقدم المحقق الطوسى تفسيراً لهذه المسألة، موضحاً أن بعض العلوم قد تُستخدم للوصول إلى علوم أخرى، وهذا لا ينفي علميتها. ويقول في ذلك: «وقد يختلف تعريف الشيء باختلاف الاعتبارات، فمنها ما يكون بحسب ذاته فقط، ومنها ما يكون بحسب ذاته مقيساً إلى غيره، كفعله أو فاعله أو غايته أو أى شيء آخر. فمثلاً، يمكن تعريف الكوز بأنه وعاء خزفي أو صفري، وهو تعريف بحسب ذاته، كما يمكن تعريفه بأنه أداة لشرب الماء، وهو تعريف بالنظر إلى وظيفته. وبالقِياس إلى هذه الاعتبارات، فإن المنطق علم في ذاته، لكنه يعد أداة بالنسبة للعلوم الأخرى. والقول بأنه آلة للعلوم فلا يكون علمًا من جملتها ليس صحيحًا، لأنه ليس أداة لجميع العلوم، بل لبعضها فقط، وكثير من العلوم تُعد أدوات لغيرها، مثل النحو بالنسبة للغة، والهندسة بالنسبة لعلم الهيئة.» (الطوسى، ١٣٧٥ ش، ١: ٩) ومن هذا التحليل الذى يقدمه المحقق الطوسى، يتضح أن استعمال علم ما كوسيلة أو أداة لا ينفي علميته الذاتية. فالاعتبار الأداتى لا يلغى الاعتبار الذاتى، بل يتكامل معه بحسب جهة النظر والغرض المقصود. وانطلاقاً من هذا المنظور، يمكن فهم موقع السيمائية على نحو أوضح؛ فهى وإن استثمرت كمنهج تحليل فى مجالات متعددة كاللغة والأدب والثقافة، فإن ذلك لا يتعارض مع كونها علمًا مستقلاً، يتمتع بموضوع محدد، ومفاهيم مترابطة، ومنهج خاص فى دراسة العلامات والدلالات. فالسيمائية ليست مجرد أداة، بل هى علم قائم بذاته، تتجاوز وظيفتها التطبيقية لتؤسس لبنية معرفية راسخة.

النتيجة

بعد التأمل فى موقع السيمائية ضمن المنظومة المعرفية، يمكن الجزم بأن السيمائية ليست مجرد نظرية جزئية أو منهج نقدى لتحليل النصوص فحسب، بل هى علمٌ مستقل يمتلك مقوماته البنيوية ومعايره المعرفية، ويستوفى الشروط التى تجعل من مجال ما

علمًا بالمعنى الفلسفى الدقيق. وقد أثبت المقال أن معيار العلمية كما قرره العلماء، مثل ابن سينا وغيره، يتحقق فى السيميائية بوضوح؛ فهى تدرس موضوعًا واضحًا وهو العلامات والدلالات، وتدور قضاياها حول هذا الموضوع المركزى، وتُبنى استدلالاتها على مبادئ وقواعد ثابتة تترامى عبر الأبحاث والنقاشات المتواصلة، مما يمنحها استقلالاً مفهوماً ومنهجياً داخل الحقول المعرفية.

وقد تبين من خلال التحليل أن السيميائية علم من جهة، ومنهج من جهة أخرى، ولا تنافى بين الوصفين، لأن الجهة فى كليهما مغايرة. فعلميتها تتجلى فى بُنياتها النظرية، وفى امتلاكها لموضوع وقضايا يتمحور حوله. بينما تتجلى منهجيتها فى قابليتها للتطبيق العملى، بوصفها إطاراً تحليلياً يستخدم فى تفكيك النصوص، والكشف عن أنظمة الدلالة والجماليات والمعانى العميقة. وهذا الجمع بين الجهتين يظهر تكاملاً، لا تناقضاً، بين العلم والمنهج، ويؤكد أن المنهجية لا تنافى العلمية، بل تعتمد عليها وتُبنى فوقها. وقد وُضح هذا المعنى بصورة جلية فى تحليلات المحقق الطوسى الذى أشار إلى أن بعض العلوم، رغم استخدامها كأداة لغيرها، تظل علومًا فى ذاتها، كعلم النحو والهندسة والمنطق. وبهذا الاعتبار، فإن السيميائية ليست مجرد آلة لتحليل النصوص، بل هى علمٌ له كيانه ومفاهيمه ونظرياته.

أما فيما يخص العلاقة بين النظرية والعلم، فقد أثبت المقال أن العلم أوسع من النظرية، وأنهما لا يعدّان مترادفين ولا متساويين فى المصاديق. فالعلم يحتوى على نظريات متعددة، وقد تكون متضادة، بينما النظرية هى مجرد وجهة نظر منهجية مؤسّسة على تأمل وتحليل وبراهين، لكنها لا تُمثل إطار العلم بكليته. ولذلك، لا يجوز إطلاق لفظ "النظرية" على السيميائية بإطلاق، لأن هذا الاستخدام يُخلّ بالدقة العلمية ويغفل التعدد الغنى الذى يميز هذا الحقل. فالسيميائية ليست نظرية واحدة يمكن الإحالة إليها باسم عام، بل هى حقل معرفى مركّب يضم مجموعة من النظريات مثل نظرية العلامة عند بيرس، والنظام اللغوى عند دى سوسير، وأبعاد الدلالة عند موريس، وغيرهم من الخبراء والمنظرين فى السيميائية. وهذا ما يدعونا إلى ضبط المصطلحات العلمية المستخدمة فى تسمية الأبحاث والدراسات، فلا نقول "النظرية السيميائية" دون تقييد،

بل يجب النسبة الدقيقة، فنقول مثلاً: "نظرية دى سوسير فى العلامة اللغوية"، أو "نظرية بيرس فى أنماط العلامات"، وهكذا.

وفى ضوء ما تقدم، يمكن تلخيص النتائج الأساسية لهذه الدراسة فى ثلاث نقاط رئيسية:

١. السيمائية علمٌ قائم بذاته، يدرس موضوعاً محدداً هو العلامة والدلالة، وتدور حوله مجموعة من القضايا والمحولات التى تفى بمعيار "العلم" كما صاغه الفلاسفة، مما يميز وصفها بأنها علم لا مجرد أداة.

٢. العلمية والمنهجية فى السيمائية ليستا متعارضتين، بل تتكاملان من جهتين مختلفتين؛ فالسيمائية علمٌ من جهة بنيتها المفهومية والنظرية، ومنهج من جهة قابليتها للتطبيق العملى فى تحليل النصوص والخطابات.

٣. لا يصح إطلاق لفظ "النظرية" على السيمائية بإطلاق، لأنها لا تقوم على نسق نظرى واحد، بل تضم طيفاً من النظريات المختلفة والمتباينة، ومن ثمّ يجب عند استخدامها أن تُنسب كل نظرية إلى صاحبها وموضوعها بدقة علمية.

المصادر والمراجع

- صروف، لطيفة ديب. (١٩٩٧م). ما هو العلم؟. دمشق: منشورات وزارة الثقافة فى الجمهورية العربية السورية.
- مصطفى، إبراهيم؛ الزيات، أحمد حسن؛ عبد القادر، حامد؛ النجار، محمد. (١٩٨٥م). المعجم الوسيط. الطبعة الثانية. بيروت: دار الدعوة.
- ابن سينا، أبو على. (١٣٧٣ش). برهان الشفا. ترجمة وبحث: مهدي كرام صفرى، الطبعة الأولى. طهران: نشر مركز پژوهش.
- ابن فارس، أحمد بن زكريا. (١٩٧٩م). مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى. بيروت: دار الفكر.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٩٩٠م). لسان العرب. تحقيق عبد الله على الكبير وآخرين، الطبعة الرابعة. القاهرة: دار المعارف.
- الأحرر، فيصل (٢٠١٠م). معجم السيميائيات. الطبعة الأولى. بيروت: المنشورات الاختلاف.
- الطوسى، الخواجة نصير الدين. (١٣٧٥ش). شرح الإشارات والتنبيهات. الطبعة الأولى. قم: نشر البلاغة.
- النراقى، محمد مهدي. (١٩٨٥م). شرح إلهيات الشفاء. تحقيق الدكتور مهدي محقق، الطبعة الأولى. طهران: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامى.
- بن مالك، رشيد. (١٤٢٠ق). «الأصول اللسانية والشكلانية للنظرية السيميائية». مجلة اللغة والأدب.

- العدد ١٤. شعبان، صص ٨٣-١٣.
- تيسير شيخ (١٩٨١م). «مفهوم العلم عند ابن سينا». مجلة التراث العربي. أغسطس - نوفمبر. العدد ٥ و ٦. صص ١٧٨-١٦٠.
- توسّان، برنار. (١٩٩٤م). ما هي السيميولوجيا؟. الطبعة الثانية. المغرب: أفريقيا الشرق.
- داسكال، مارسيليو. (٢٠٠٩م). «الأصول العلمية للنظرية السيميائية (مدخل نظري)». مجلة المعرفة. العدد ٤٥٦. صص ١٦-٩.
- روزنبرج، أليكس. (٢٠١١م). فلسفة العلم: مقدمة معاصرة. ترجمة: أحمد عبد الله السماحي، فتح الله الشيخ. مراجعة ومشاركة: نصار عبد الله، الطبعة الأولى. القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- شعبان، ليلى شيخ محمد رضوان، (د.ت). «المنهج السيميائي في تحليل النص الأدبي»، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، المجلد الأول، العدد ٣٣، صص ١-٣٠.
- شعبان، شيخ محمد رضوان؛ ليلى (بدون تاريخ). «المنهج السيميائي في تحليل النص الأدبي». مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية. المجلد الأول. العدد ٣٣. صص ٣٠-١.
- شميل، جورج. (١٩٨٧م). معجم الرائد. الطبعة الثالثة. بيروت: دار العلم للملايين.
- قصوه، صلاح. (١٩٨١م). فلسفة العلم. القاهرة: دار المعارف.
- عقاق، قادة. (٢٠٠٩م). «الأصول العلمية للنظرية السيميائية (مدخل نظري)». مجلة الموقف الأدبي. نيسان. العدد ٤٥٦. صص ٩-١.
- علوش، سعيد. (١٩٨٥م). معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة. الطبعة الأولى. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- عناني، محمد. (٢٠٠٣م). المصطلحات الأدبية الحديثة: دراسة ومعجم إنجليزي-عربي. الطبعة الثالثة، مصر: لونجمان.
- فاخوري، عادل. (١٩٩٤م). علم الدلالة عند العرب: دراسة مقارنة مع السيميائية الحديثة. الطبعة الثانية. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- فايز، دايه. (١٤٠٢ق). «علم الدلالة: أصوله وأبعاده». مجلة المعرفة. ربيع الأول. العدد ٢٣٩. صص ٣٦-٥.
- فضل، صلاح. (٢٠٠٢م). مناهج النقد المعاصر. الطبعة الأولى. القاهرة: ميريت للنشر والمعلومات.
- فونائيس، س. ي. (١٤٠١ق). «ما السيميائية؟». مجلة المعرفة. رمضان. العدد ٢٣٤. صص ٧٢-٥٢.
- عبد الحميد، محمد أسامة. (١٤٢٨ق). «السيميائية بين الرؤية والإجرائية». مجلة المعرفة. العدد ٥٢٨.
- شعبان. صص ١٦٤-١٤٩.
- مسعود، جبران. (١٩٩٢م). معجم الرائد. الطبعة السابعة. بيروت: دار العلم للملايين.
- وهبه، مجدى؛ المهندس، كامل. (١٩٨٤م). معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. الطبعة الثانية. بيروت: مكتبة لبنان.